إلياذة الجزائر في كلمة مولود قاسم

The Iliad of Algeria in Mouloud Kassem's Speech.

أ. د. محمد السعيد بن سعد

جامعة غرداية الجزائر

bensaad.mohamad@univ-ghardaia.dz

أ.د. عبد القادر بقادر

جامعة ورقلة الجزائر

Adhakira775@gmail/com

تاريخ الاستلام: 2022/05/18 - تاريخ القبول: 2022/05/20 - تاريخ النشر: 2022/06/01

تعد إلياذة الجزائر تحدّ للأزمنة من خلالا تاريخ الجزائر القديم والحديث، كيف لا وهي التي عبّرت عن واقع جزائري دفين، جاءت في مقطوعات ولوحات فنية مكثّفة الدّلالة، بحيث تجاوزت فيها المشاهد الحقبة التي شهدت ميلادها إلى حقب أخرى تجدّدت في حاضرنا، ذلك لمن يُلقي السّمع ويعي الدّروس.

ولقد كانت الإلياذة الملهمة لكثير من المفكرين والكتاب، ومن بينهم نجد الأستاذ مولود قاسم نايت بلقاسم المفكر الجزائري الشهير، الذي أشار في كلمته إلى: الإشادة بالجزائر؛ بجمالها، وبأصالتها التّاريخية، ثورة نوفمبر وبسالة رجالها، الإشادة بالملتقى السّادس للفكر الإسلامي.

The Iliad of Algeria in Mouloud Kassem's Speech.

The Iliad of Algeria is a challenge to the times through the history of ancient and modern Algeria. How not, while it expresses the depth of the the Algerian reality. The Iliad was put in pieces like marvelous paintings with intense significance, so that the scenes transcended the era that has witnessed its birth to other eras renewed in our presence, for those who are aware of the beauty of this man-made treasure.

The Iliad inspired many scholars and writers, among whom we find Mr.Mouloud Kassem Nayet Belkacem, the famous Algerian intellect who referred in his speech the praising for Algeria; With its beauty, its historical originality, November Revolution and the bravery of its men, pay tribute to the Sixth Forum of Islamic Thought

المؤلف المرسل: محمد السعيد بن سعد، عبد القادر بقادر، **الإيميل:** bensaad.mohamad@univ-ghardaia.dz-

bakaderaek7@gmail.com

1 مقدمة

يقف أحدنا عاجزا عن التّعبير عن قيمة إلياذة الجزائر للشّاعر مفدي زكرياء ومكانتها، فمعجم كلماتي لا يكن أن يوفّيها حقّها.

ارتأينا أنّ ما يشفي شيئا من الغليل في ذلك كلمات قالها المفكّر الجزائري مولود قاسم نايت بلقاسم في الإلياذة، معتمدين في ذلك على ما جاء في الطّبعة الخاصة بالذّكرى الخمسين للثّورة المجيدة – المقدّمة الأولى للطّبعة الكاملة(الصّفحتان: 21 و 22)، والمقدّمة الثّانية للطّبعة الكاملة(الصّفحات: 29– 35)، إصدار مؤسّسة مفدي زكريا والدّيوان الوطني لحقوق المؤّلف والحقوق المجاورة، بدعم من وزارة المجاهدين، 2005، إعداد الدّكتور محمد عيسى وموسى، مراجعة الدّكتور محمد بن سمينة.

وهنا ينبغي التّنبيه إلى أن الإلياذة ألّفت في مرحلتين:

- المرحلة الأولى وصلت الإلياذة فيها إلى عشرة وستّمائة (610) بيت، أنشدها مفدي في قاعة المؤتمرات بنادي الصّنوبر البحري بالجزائر العاصمة في 24 يوليو 1972م أمام أكثر من 1000 طالب جامعي من القارّات الخمس، وحضور بعض المسؤولين في افتتاح الملتقى السّادس للفكر الإسلامي[1]
- المرحلة الثّانية اكتملت الإلياذة في ألف بيت و بيت واحد (1001) بيت، مقسمة إلى مائة مقطوعة (100)[2]، في كل مقطوعة عشرة (10) أبيات، عدا مقطوعة واحدة بلغ عدد أبيتها أحد عشر (11) بيتا، والبيت الزّائد كما يعبّر عن ذلك مولود قاسم: « بمثابة سجدة السّهو للحفاظ على قداسة الملتقى »[3]، بل ونقول إنّه من قبيل الاقتداء برسول الله صلى الله عليه وسلم في تفضيل الأوتار والوتر في كلّ شيء.

نسعى من خلال هذا إلى تحريك شحنة في شبابنا الأغرّ، بل في طلابنا الكرام للاقتداء أعلام الجزائر واتباع خطاهم، والاهتمام بتراث أسلافهم الخلّص الأوفياء.

قسّمت الورقة إلى أقسام ثلاثة.

01– لماذا إلياذة الجزائر؟

02– لماذا مولود قاسم نايت بلقاسم؟

03– مع كلمة مولود قاسم في الإلياذة.

اعتمادنا في هذه الورقة المنهج الوصفي والإجراء التّحليلي، مع اللجوء من حين لآخر إلى الاستقراء ونحن نتتبّع بعض كلمات مولود قاسم في الإلياذة للوقوف على شيء من دلالاتها.

لماذا الإلياذة؟

إلياذة الجزائر تاريخ شعب بل تاريخ أمة، كتبت بأحرف من ذهب وبمسحة جمالية وإبداع فتي رائع[4]، أفلا يحق لنا أن نقول: إلياذة الجزائر تسهم بشكل جليّ في كتابة تاريخ الجزائر والذي في زعمنا حتى السّاعة لم يعرف كتابة حقيقية صحيحة تنير للشّباب طرقهم وتوثّق ثقتهم وصلتهم بعضهم ببعض، فتقوى حبهم للجزائر؛ إذ القعود عن كتابة تاريخ هذا الشّعب يعد جريمة وإثما مبينا، يقول الدّكتور أبو القسم سعد الله: ولكن ظاهرة الجهل بتاريخ الجزائر بقيت، فأساتذتي كانوا يدرّسون لي تاريخ اليونان والرّومان، وتاريخ أروبا ونهضتها وثورتها العلميّة، والسّياسية، والقومية، والاقتصادية، بل كان يخيّل إليّ أنّهم كانوا يدرّسون لي كلّ بلد ما عدا الجزائر – وبيت القصيد في مقولة الأستاذ؛ قوله مستطردا – « وكنت أتساءل مع نفسي: لماذا ذلك؟، أليس للجزائر تاريخ يستحق الذّكر؟[5]، ولنتمعّن في مقولة مولود قاسم: « فالتّاريخ هو الأهمّ، والبداية والنّهاية، وبيت القصيد، والزّبدة من كلّ ثقافة، وليس فقط للتّعريف بالأنجاد والأمجاد، وليس فقط لاستخلاص التّجارب، ولكن أيضا لغرس الاعتداد بالنّفس، وتعميق الوعي بالذّات، وتوطيد الاعتزاز بالوطن »[6]، ويقول نقلا عن الفيلسوف الألماني شوبنهاور: « التّاريخ للأمم كالعقل الأفراد »[7]، هكذا إذا هي إلياذة الجزائر لمفدي.

إلياذة الجزائر تحدّ للأزمنة من خلالا تاريخ الجزائر القديم والحديث، كيف لا وهي التي عبّرت عن واقع جزائري دفين، جاءت في مقطوعات ولوحات فنية مكثّفة الدّلالة، بحيث تجاوزت فيها المشاهد الحقبة التي شهدت ميلادها إلى حقب أخرى تجدّدت في حاضرنا، ذلك لمن يُلقي السّمع ويعي الدّروس.

هذا ما يمثله الإبداع الفنّي في الإلياذة، إذ إنّنا ندرك أنّنا أمام حوادث لا يعتريها الذّبول؛ لروعة الصّياغة وتجدّد السّياقات في رباط وشيج، يقول الدّكتور حبيب مونسي: « إنّ معجزة ميلاد الشّيء الذي يأتي من عدم والذي يتحدّى الأزمنة في ثبات وتجدّد مستمرين، نحياه في دائرة الفن، وتبدأ الدّهشة عندما يتسنى لأحد اللوحات – بفضل تقنيتها وإتقانها – تجاوزت الحقبة التي شهدت ميلاها إلى حقب أخرى بعدها »[8]، هذه حقيقة أضحت بادية في الإلياذة، يعيشها النّشء والشّباب الجزائري ويتزوّد منها، نحسب أنّها وثّقت صلته بأرضه ووطنه وبهذا الامتداد التّاريخي العريق والأصيل؛ ذلك أنّ الخطاب الشّعري هو عبارة عن رسالة من مرسل إلى مرسل إليه، ولكي تكون الرّسالة فاعلة تقتضي حضور شروط ضرورية يأتي في مقدّمة ما يسمى بالمرجعية؛ ذاكرة الخطاب بها يحيل المتلقّي ويكون في الوقت ذاته قابلا للإدراك، ولابد من وجود قرائن دلالية مشتركة بين المرسل والمرسل إليه – بين مفدي والشّعب الجزائري – حتى تتم عملية التّواصل، وهو ما يُعبّر عنه بالسّنن، واللغة باعتبارها أداة تواصل ورابطا نفسيا وجماليا، تلك هي إلياذة الجزائر لمفدي[9].

إلياذة الجزائر روح الجماعة والتّعاون تنعكس فيها شخصية هذا الشّعب الأثيل – ذلك أنّ الفردية علّتنا ومن أسباب تأخّرنا، « لاتزال الفرية أبين الصّفات المميّزة للعرب ، وأجلى ما تكون في عالمنا الثّالث، فإنّ المرء ليغالي في فرديته حتى ليوشك أن يكون أمّة وحده »[10]؛ مما يرفضه التّوجه العلمي الحضاري منذ العهود

الأولى للإسلام بقيادة رسول الله عليه الصّلاة والسّلام، المؤمن للمؤمن كالبنيان المرصوص يشدّ بعضه بعضا »[11]، بتوجيه من القرآن الكريم : ﴿ **وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ ۖ وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ ۚ وَاتَّقُوا اللَّهَ ۖ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ** ﴾ [المائدة 02]، بل أصبح توجّها على مستوى البحث الأكاديمي الجامعي البحوث الجماعية (فرق البحث)، بخاصة في الأعمال الجليلة.

فالإلياذة قامت منذ ميلادها على هذه الرّوح الجماعية ابتداء: مؤلفها الشّاعر مفدي زكريا، باقتراح من المفكّر مولود قاسم نايت بلقاسم[12]، و بمشاركة الأستاذ عثمان الكعاك[13]؛ موجّهين وموقّعين، كاتبها الأستاذ عبد الجيد غالب[14]، تلقّاها الشعب الجزائر بكل روح وطنية بوجدان رحب: أنثاه وذكره، صغيره كبيره، عرب وأمازيغ.

كما تمثّل هذا التّوجّه في متن الإلياذة نفسها، ألا ترى الضّمير الجمعي يتكرر في اللازمة[15] والتي تواترت 100 مرة.

شغلنا الورى، وملأنا الدّنا

بشعر نرتّله كالصّلاة

تسابيحه من حنايا الجزائر.

توجّه تعزّز فيه مبدأ الوَحْدة – بفتح الواو – التآلف والتّعاون، والصّفاء، فما أحوجنا إليه في جزائر اليوم. يقول الشّاعر[16]:

رعت دولة الإسلام بالعدل أرضهم فصار (ابن مازيغ) أخا (لابن وائل).

إلياذة الجزائر قيم:

- تاريخية: كل مقطوعاتها حدث من الأحداث، أو خبر من الأخبار، أو بلد من البلدان، أو مدينة من المدن، أو بطل من الأبطال، أو معركة من المعارك...؛ وهي بهذا سجلّ تاريخي عظيم. يقول مفدي[17]:

أيا عبد القادر ..كنت القديرا وكان النّضال طويلا عسيرا

شرعت الجهاد، فلبك شعب وناجاك ربّ، فكان النّصيرا

ويقول أيضا[18]:

تــأذن ربّـك ليلـة قـدر وألقى السّتار على ألف شهــر

لا يمكن تتبّع كلّ هذه المحطات، فهي مبثوثة في كامل الإلياذة

- دينية: تقديس الجهاد، فقد شبّه مفدي ليلة نوفمبر بليلة القدر، وشبّه مجاهدي الثّورة المباركة بشهداء معركة بدر الكبرى الفاصلة بين الكفر والإيمان، في مثل قوله[19]:

نوفمبر ..غيّرت مجرى الحياة، وكنت –نوفبر– مطلع فجر

وذكّرتنا – في الجزائر – بدرا فقمنا نضاهي صحابة بدر

- سياسية: صراع الجزائر صاحبة الأرض وفرنسا الغاصبة لأرض الجزائر الطّاهرة.

يقول[20]:

ودان القصاص فرنسا العجوز، بما اجترحت من خداع ومكر.

- ثقافية، حضارية، اجتماعية: عقيدة الجزائريين و حبهم للعلم، وجمال الجزائر البيضاء.

مما يقوله مفدي في هذا[21]:

جزائـر، يا لحكايـــة حبّي ويا من حملت السّـــلام لقلـبي

ويا من سكبت الجمال بروحي ويا من أشعّت الضّياء بدربي

إلياذة الجزائر لوحة فنّية تعكس ثقافة الشّاعر الواسعة، صاغها في معجم شعري متنوّع: الاقتباس من القرآن الكريم، واستنطاق التّاريخ: قديمه وحديثه، متوكأ على حقول دلالية واضحة، ورئيسة:

- حقل الجمال؛ جمال الجزائر الطّبيعي.
- حقل الجلال؛ في مجد الجزائر التّاريخي، والذي يضم بدوره حقولا دلالية فرعية ثانيا، من ذلك:

- **أصالة مجد الجزائر**، في تحديها وصمودها، وعظمة رجالاتها، من أمثال: بولوغين، ماسينيسا، يوغرطة، عقبة ابن نافع، ابن رستم، ابن حمّاد وغيرهم.

يقول في الإلياذة:

دعـوا ماسينسا يردّد صـدانا ذروه، يخلد زكيّ دمانـــا[22]

فجاء يوغرطة على هديه بحم الجماهير يفشي الأمانا[23]

ومرحى لعقبة في أرضنا ينير الحجى، ويشيع اليقينا[24]

- **المقاومة الشّعبية**، ويذكر من أبطالها: الأمير عبد القادر، بو معزة، أولاد سيدي الشّيخ، المقراني، بو عمامة، وغيرهم،

يقول:

بنو سيّدي الشّيخ قادوا النّضال فهزوا الثّرى، وأذابوا الجبالا[25]

فيا آل مقران أسد الكفاح ونبع النّدى، والهدى والصّلاح[26]

- **النّضال السّياسي**، يشير من خلاله إلى المؤتمرات والأحزاب التي عرفتها الجزائر إبّان الاحتلال.

يقول مفدي:

جمعنا لحرب الخلاص شتاتا سلكنا به المنهج المستبينا[27]

فجبهة التّحرير الوطني انصهرت فيها جميع الأحزاب والتّوجّهات؛ لتوحّد الجهود ضد الاحتلال الغاشم.

- ثورة التّحرير المباركة والتي انطلقت غرة نوفمبر 1954[28]، يقول مفدي:

نوفمبر، جلّ جلالك فينا ألست الذي بثّ فينا اليقينا؟
سبحنا على لجج من دمانا وللنّصر رحنا نسوق السذفينا
وثرنا، نفجّر نارا ونورا ونصنـــع من صلبنا الثّائرينـــا[29]

- التّحذيرات والتّوجيهات والتي من شأنها أن تُحدث الانتكاسة من بعد عن القيم والأخلاق.

جاء من ذلك في الإلياذة:

أمانا من الخطر الدّاهم ومن معول قاصف هادم
غزا المذهبيّون عقل الشّا ب، بمستورد آفن آثـــم
وزاغوا بهم دون إسلامهم إلى مذهب ليس بالسّالم[30]

كلّ ذلك صيغ في ألفاظ وعبارات ملائمة ومناسبة للحقل الدّلالي الذي وردت فيه.

إلياذة الجزائر جامعة لأناشيد الجزائر كلّها، هذا ما يشير إيه مولود قاسم في كلمته، وكان من دوافع ميلادها، يقول: « طلبنا أن يَضع، – أي من مفدي – لنا نشيدا جديدا يجمع هذه الأناشيد كلّها »[31].

لماذا مولود قاسم نايت بلقاسم؟

مولود قاسم(سي المولود)، من عظماء الجزائر، رمز من رموز التّضحية من أجل أن تسترد الجزائر مجدها وعزّتها؛ منعه في كلّ مرة منصبه السّياسي عن إتمام أعماله العلمية.

مولود قاسم أسهم أيّما إسهام في ميلاد إلياذة الجزائر، محركا ومشجعا ودافعا، حتى رآها بين عينيه مطبوعة، وكفى بها رسالة لشباب اليوم والغد.

مولود قاسم رائد التّعريب في الجزائر، دافع باستمرار عن اللغة العربية من دون تعصّب، وكان من ذلك مساهمته في إنشاء مجمع اللغة العربية في الجزائر.

مولود قاسم رمز الوطنية الصّادقة، بل والمواطنة الصّادقة، والتي افتقدناها اليوم، فإنّه لم يكن ليعش إلا لثلاث: الإسلام أوّلا، الجزائر ثانيا، الأمازيغية – كونها هوية وطنية – ثالثا؛ وهذا من وعيه بالأهداف وتحديد الانتماء، والذي نريد من شبابنا أن يفقهه.

كان مولود قاسم يردّ مفحما كلّ من تسوّل له نفسه التّشكيك في وجود الدّولة الجزائرية، ولعل هذا كان من الدّوافع الأساس في ميلاد إلياذة الجزائر التي لم يدع مجالا للشّك في وجود الدّولة الجزائرية عبر التّاريخ.

مولود قاسم أشرف وأسهم في تنظيم ملتقيات الفكر الإسلامي بالجزائر، بخاصة فترة السّبعينيات والثّمانينيات؛ فما إن تُذكر ملتقيات الفكر الإسلامي إلاّ ويقترن باسم علمين جليلين من أعلام اللغة والأدب والفكر في الجزائر هما: مولود قاسم نايت بلقاسم، وعبد الرحمن شيبان عليهما رحمة الله، ذلك أنّنا نزعم أنّ لملتقيات الفكر الإسلامي الدّور الفعّال في إبراز ما طمس من معالم الفكر الإسلامي على مرّ الحقب والعصور؛ خدمة للشباب المتّقد حيويّة ونشاطا باطّلاعه على كنوز تراثه وتلقّيه منهجية البحث والنّقاش والحوار[32]: « إنّ تلك اللقاءات الفكرية التي يقوم بها سيادته – أي مولود قاسم– بالإشراف عليها، لتدعم فكر الشّباب المسلم لمعاني حقيقة هذا الدّين العظيم، وتدفع عنه الشّبهات والأكاذيب التي افتريت عليه ».[33]

مولود قاسم اقترن اسمه أيضا بالتّعليم والتّكوين، وما يذكر له في ذلك أنّ أوّل عمل قام به بعد تعيينه على وزارة الشّؤون الدّينية أن غيّر اسمها إلى وزارة التّعليم الأصلي...؛ إيمانا منه أنّ التّعليم هو الأساس في بناء الأفراد والمجتمعات، وهو الوسيلة الأولى في بناء الأمة، وحقا كان لمولود قاسم الفضل في تأسيس المفهوم الحضاري للجانب اللغوي[34].

إنّ ملتقيات الفكر الإسلامي تعد من أبرز آليات التّكوين يومئذ في مختلف العلوم، وهي باعث على تعلّم اللغات؛ لأنّها تزكية لحوار الثّقافات وتدعيم له: أعلاما وموضوعات ومناقشات، ناهيك عمّا يجري على هامشها من نحو ذلك.

مولود قاسم قدّم لبلاده خير ما يذكر به، لم يكن بخيلا على أرضه الجزائر من خلال المناصب الحسّاسة العليا التي أسندت له إبّان الثورة وبعد الاستقلال، ومن خلال مؤلفاته، ومنها(الجزائر) باكورة إنتاجه العلمي والفكري، ومن خلال محاضراته المتناثرة هنا وهناك في الصّحف والمجلاّت، ومن خلال مواقفه المشرّفة.

مع كلمة مولود قاسم في إلياذة الجزائر:

الكلمة مقصدنا في هذه الورقة – كما أشرنا – هي ما جاء في مقدمة الطّبعة الأولى قبل إتمام الإلياذة، الصفحتان: 19 و20، وما جاء في المقدمة الثانية للطّبعة الكاملة، الصّفحات: 29–35[35].

رأينا أن نقارب هذه الكلمة بتقسيمها إلى حقول دلالية :

- **ملابسات ميلاد الإلياذة،** يقول مولود قاسم: «...ولهذا طلبنا – مولود قاسم نايت بلقاسم – من المناضل الكبير والشّاعر الملهم، شاعر الكفاح الثّوري السّياسي، وشاعر الكفاح الثّوري المسلّح، الأستاذ مفدي زكريا، صاحب الأناشيد الوطنية...أن يضع لنا نشيدا جديدا يجمع هذه الأناشيد كلّها »[36].

- فالاقتراح والفكرة جاءت من المفكّر الجزائري مولود قاسم نايت بلقاسم.
- واختير لهذا الشّاعر مفدي زكريا لقريحته الشّاعرية، وتمرّسه في نظم الأناشيد.

« وقد تحمّس مفدي لفكرة نظم هذه الإلياذة بمجرد أن تلقّى رسالتي – رسالة مولود قاسم –، في بدء 1392هـ/ 1972م، وعبّر عن استعداده المطلق لتنفيذها، وتعاونا نحن الثلاثة؛ المرحومان: مفدي زكريا وعثمان الكعاك وكاتب هذه السّطور – وهو المفكّر نايت بلقاسم – في وضع المقاطع التّاريخية »[37].

- الاستجابة السّريعة للمقترح والتي تنمّ على المواطنة الصّادقة لمفدي، وعلى براعته الشّعرية، وثقافته الواسعة.
- الشّروع المباشر في التّنفيد، والرّوح الجماعية التي يتحلّى بها علماؤنا ومفكرونا، والوعي بالمرحلة وأوليات ما تتطلّبه.
- العمل بالحكمة فإذا عزمت فتوكّل على الله، وقول القائل لا تؤجل عمل اليوم للغد، فإنّ للغد عملا آخر.
- التّصميم والتّخطيط في أي عمل (وضع المقاطع)،

« فكنا نتهاتف ليلا خاصة، وكانت البادرة في هذا الهتاف الليلي تعود غالبا إلى مفدي، الذي كان ينظم الإلياذة ليلا، وعندما يتوقّف عند نقطة تاريخية ما، ويود التأكد والاطمئنان، يهتف من الرّباط ...إليّ ؛ أي – إلى مولود قاسم – في الجزائر، وإلى الأستاذ عثمان الكعاك في تونس...، وهكذا كان هذا الحوار الثّلاثي الليلي عن تاريخ الجزائر، بالذّات، وبصفة أخص...، وتسجل، وتخلد في عاصمة الجزائر، مقر الملتقى، وصاحبة المبادرة في الإلياذة، كنقطة الارتكاز والمنطلق »[38].

ناخذ من هذا القول:

- التّعاون باستثمار العمل الجماعي بين الإخوة المخلصين لوطنهم.
- وقت العمل بالتّدقيق: الليل مبارك، تنتعش فيه الأفكار، وتتناجى فيه الضمائر، وتصفوا فيه المشارب. جاء في دراسة بريطانية: أنّ العقل ينتعش مساء، من الرّابعة إلى الثامنة صباحا، ثم يصاب بشيء من الخمول من الثامنة إلى العاشرة، ثم ينتعش أخرى من الثانية عشرة إلى الرابعة لتكتمل الدّورة، وهذا لعمري هو النّظام الإسلامي منذ بذوغ فجر الإسلام، وقد عشنا ذلك مع شيوخنا في الكتاتيب والحلل.
- دور مفدي، والاعتراف بفضله.
- المحاورة والتّشاور؛ من أجل إخراج الإلياذة في حلّة تناسب عظمتها ومكانتها.

- الموطن الرئيس للإلياذة، والإشارة ضمنيا إلى أنّها انشغال بين الأقطار المغاربية، بل العربية قاطبة.

« هذا فضلا عن المراسلة المستمرة، التي كنت أقترح فيها عليه؛ أي على الأستاذ مفدي – بعض النّقاط وأعرضها عليه لإدراجها في الإلياذة، والتي كان يرسل إليّ في ثناياها بالمقاطع أوّلا بأول، لأدفع بها على الخطاط: الأستاذ عبد المجيد غالب الذي ينقلها بخطّه الجميل الرّائع »[39].

- إسهام مولود قاسم في إنجاز الإلياذة، والتّعاون المثمر بين الأخوة، والعناية بالإلياذة حتى على مستوى الاهتمام بكتابتها رسما.

« هكذا نشأت إلياذة الجزائر، إذن، ونمت، وترعرعت، ووصلت في ظرف بضعة أشهر إلى ستمائة وعشرة بيت، أنشهدها مفدي، بصوته، ونبراته، وصرخاته، وإشاراته، وصيحاته، وسخرياته، تهللاته، وغضباته، وتعجباته في افتتاح الملتقى السّادس للفكر الإسلامي في قاعة المؤتمرات من قصر الأمم (نادي الصّنوبر) يوم 13 جمادى الثانية 1392هـ/ 24 يوليو 1972م ... »[40]

- انتهاء المرحلة الأولى من الإلياذة، واقترانه بحدث فكري علمي عظيم، هو افتتاح الملتقى الإسلامي.

- إنشادها من قبل مفدي مؤلفها بصوته ينمّ على بصمته الغرّاء، ويعلن على ميلادها في الملأ.

« وبعد ذلك واصلت الإلياذة مسيرتها؛ أي واصل مفدي نظمها، إلى أن بلغت الواحد بعد الألف، أي الألف بيت وبيتا،(1001)، أو الألف يوم ويوما.

« فقد طبعت الإلياذة بعد ذلك كاملة...، وطبعت ترجمتها إلى الفرنسية...، من ترجمة الأستاذ الطّاهر بوشوشي »[41].

- الانتهاء من تأليف الإلياذة، والإقدام على طبعها، إشعارا بنشرها وتوزيعها؛ لتصل إلى المؤسسات وفئات الشّعب؛ وهي جديرة بذلك.

«...وهذه هي الإلياذة الخالدة، وشهادة ميلادها »[42].

- شهادة من المفكّر مولود قاسم يعتزّ بها كلّ جزائري أبيّ مخلص لوطنه.

- **دوافع وأهداف نظم الإلياذة:** يقول المفكّر نايت بلقاسم: « ... ووفاء بوعدنا، ركّزنا جدول أعمال هذا الملتقى على التاريخ لمراجعته، وكتابته من جديد، وتصفيته من جميع ما علق عن رؤية وسبق إصرار من شوائب وتزييفات؛ لمعرفة ماضينا، والاستفادة من تجاربه في بناء حاضرنا ومستقبلنا... »[43]

- قامت الإلياذة على دوافع وأهداف، واعتمدت على التّخطيط في ذلك(رسم برنامج).

- من دوافع تأليف الإلياذة: الإلياذة على مراجعة تاريخ الجزائر، وكتابته من جديد، وتصفيته، لمعرفة الماضي التي نفته فرنسا الغاشمة؛ ولكي نستفيد من تجاربه ولا نكرّر الأخطاء، وبالتالي يمكن أن

نبني حاضرنا وفق معطياتنا التّاريخية؛ ولنضمن مستقبلا زاهلا تكون لنا فيه مكانة معتبرة بين الأمم.

« ...وها هي وزارة الشؤون الدّينية تعيد طبعها، وهي التي طلبت من مفدي نظمها، ثمّ طبعها، ونشرها، وتستمر في ذلك خدمة الأدب الجزائري، العربي العالمي، والرّوح الوطنية، وتاريخ الجزائر، وتاريخ الأمة الإسلامية عموما.

« ليس هذا من باب التّغني بالماضي والاكتفاء بما تركه لنا الأجداد، بقدر ما هي عملية إبراز الأسس الأصيلة للبناء عليها في انطلاقتنا الجديدة، مع الاستفادة من تجارب الأمم في جميع الأزمنة، وبأخذ ضرورات عصرنا بالاعتبار.

« هذا هو مغزى إلياذة الجزائر، وهذه هي الإلياذة الخالدة، وشهادة ميلادها »[44] .

- هذه شهادة حيّة من مولود قاسم أحد الحاضنين للإلياذة بالعمل الدؤوب والجاد والشّاق والجبّار في وضع الإلياذة ونشأتها.

- **قيمة الإلياذة وبعض موضوعاتها**، يقول مولود قاسم: « ...طلبنا منه؛ – أي من مفدي– أن يضع لنا نشيدا جديدا يجمع هذه الأناشيد كلّها – ذلك أنّ الشاعر مفدي هو صاحب الأناشيد الوطنية: " من جبالنا...، وفداء الجزائر...، والنّشيد الرّسمي الوطني قسما، وأعصفي يا رياح، ونشيد جيش التّحرير الوطني، ونشيد العمّال، ونشيد الطّلبة، واللهب المقدّس – ويشمل فيه وبه –أي؛ الإلياذة – تاريخ الجزائر: من أقدم عصورها حتى اليوم، مركّزا على مقاومتنا لمختلف الاحتلالات الأجنبية، وعلى العهود الحضارية الزّاهرة المتعاقبة، وحاضرنا ومستقبلنا في كفاحنا لاستعادة جميع ثرواتنا ومقومات شخصيتنا وحصانتنا، وبناء مجد جديد لأمّتنا »[45].

« وهذا ما فعله مفدي، وسمينا نشيد الأناشيد هذا؛ أو إلياذة الجزائر...، ونشرها كاملة في هذه الطّبعة، كما ننوي نشرها فيما بعد منفردة، مرفقة بصور رمزية وواقعية تجسم بعض معانيها.

« وسميناها إلياذة الجزائر و إن كانت تمتاز عن إلياذة هوميروس بالفارق العملاق...إلياذة الجزائر خلدت أمجادا حقيقية، وسطّرت تاريخ وقائع وأحداث هي من روائع الدّهر، لا من خلق الجنّ، ولا من اصطناع شاعر، ولكن من صنع الإنسان الجزائري في الميدان »[46]

- وضع الاسم للمولود يدل على أصالته وعلى وجوده، وعلى مكانته، وعلى تميّزه عن بقية الأشياء.
- من خصائص إلياذة الجزائر: انفرازها عن إلياذة هوميروس(اليونانية)؛ تخلّد أمجادا حقيقية، وأحداثها من روائع الدّهر، وهي من صنع رجل الميدان الجزائري الذي شهد الأحداث، أفراحا وأتراحا.

« وقد قسّمها مفدي إلى جزأين: قسم الجمال...وقسم الجلال »[47].

- هذا من محتويات الإلياذة، ومن ذلك، ما جاء من قول مفدي:

جزائر، يا بدعة الفاطر ويا روعة الصانع القادر»[48]

هذا في الجمال، أمّا في الجلال، فممّا يقوله:

ولعلع صوت الرّصاص يدوّي فعاف اليراع خرافة حبر

« والإلياذة أحسن سجّل لتاريخ الجزائر حتى اليوم... »[49]

- ذلك أنّها تصوّر الجدّ التّاريخي للجزائر؛ قديمه وحديثه.

« ولنكتف هنا بالإشارة إلى بضع مقطوعات:... »[50]

فقد أشار مولود قاسم في كلمته إلى: **الإشادة بالجزائر؛ بجمالها، بأصالتها التّاريخية، ثورة نوفمبر وبسالة رجالها، الإشادة بالملتقى السّادس، نهاية الإلياذة والتي كانت تنم عن قرب أجله مودعا »**[51]

- ، جعل الله مثواه الجنّة، آمين.

« وها هي الإذاعة الوطنية تبث عشرة والست مائة – 610 – أبيات...فتصْدُرها وزارة الثقافة والسّياحة في ثلاث أسطوانات كبيرة، ويصدرها حزب جبهة التّحرير الوطني....، جبهة التّحرير الوطني – التي مجّدها وخلّدها مفدي في اللهب المقدس والإلياذة، بواسطة ودادية الجزائريين في أوروبا – في ست لوحات بالعربية وفي ست أخرى بالفرنسية[52] ».

« وها هي وزارة التّربية تعيد طبعها وتوزيعها على المدارس وتلزم تدريسها، وها هي وزارة الشؤون الدّينية تعيد طبعها... [53] ».

« ثم ها هي المؤسسة الوطنية للكتاب تصدرها بدورها في هذه الطّبعة الأنيقة الجميلة في شكلها؛ لموافقة مضمونها...ستضمن، – لا شك –... أكبر توزيع لها حتى في الخارج؛ أي ستوصلها إلى كلّ مكان... [54] ».

كلّ هذه النّصوص التي سقناها من كلمة مولود قاسم تدلّ على مكانة الإلياذة في وجدان الجزائريين في الدّاخل وفي الخارج، وإلاّ لما اهتمت هذه المؤسسات مجتمعة على طبعها وترجمتها وتوزيعها ونشرها عبر وسائل مختلفة؛ كتب اسطوانات، لوحات...

« والإلياذة تستحقّ كلّ هذا وأكثر؛ فهي إلياذة الجزائر؛ أي أجمل وأكمل صياغة لتاريخها؛ بآلامها وآمالها، بانتكاساتها وانتصاراتها... [55] ».

« ...فالتّاريخ هو الأهم، والبداية والنّهاية، وبيت القصيد، والزّبدة من كلّ ثقافة، وليس فقط للتّعريف بالأنجاد والأمجاد، وليس فقط لاستخلاص التّجارب، ولكن أيضا لغرس الاعتداد بالنّفس، وتعميق الوعي بالذّات، وتوطيد الاعتزاز بالوطن [56] ».

- النّصان شهادة من مولود قاسم بقيمة الإلياذة ومكانتها وأهميّتها.
- والنصّان يشيران إلى بعض موضوعات الإلياذة؛ إذ هي بلا منازع: صياغة فنية أدبية جمالية، وهي تعريف بأمجاد الجزائر وأنجادها، واستخلاص للتّجارب، وغرس للاعتداد بالنّفوس، وتعميق للوعي بالذّات، وتوطيد للاعتزاز بالوطن والذّود عليه، فما أحوجنا إلى هذه القيّم في يوم الجزائر هذا، ذلك أنّ هذا الوطن عريق تاريخا وثقافة وحضارة، ومتشامخ أمجادا وبطولات[57]، يقول صالح خرفي: « لن تحلم ربّة الشّعر بأروع من هذا الوطن عروسا للإلهام... »58

خاتمـــــة:

تحدّث المفكّر الجزائري مولود قاسم عن إلياذة الجزائر لمفدي زكرياء اهتماما منه بأمر الوطن العزيز، وأحسبه بذلك يرمي إلى بعض المرجعيات التي ينبغي التوكأ عليها للنهوض بهذا الوطن ولإتمام ما بناه الشّهداء والمجاهدون ومن ذلك الرّجوع إلى الإلياذة واستلهام الههم منها والوقود؛ لأنها تمثّل بحق سجلا تاريخيا عظيما لا يستغني عنه عاقل، فوقف على بعض أفكارها وموضوعاتها، من ذلك: **ملابسات ميلادها؛ ليشير بذلك أنّ** إنتاجها ليس بالعمل الهيّن، بل هو عمل عظيم بذل فيه جهد جبّار ينمّ على إخلاص ومواطنة صادقة لأصحابها، وتطرّق بجانب ذلك إلى: دوافع نظم الإلياذة وأهدافها ، قيمتها، وبعض موضوعاتها.

وتوجه أخيرا بتوجيهات لعامة الشّعب والشّباب خاصة للحفاظ على هذه المكتسبات حتى لا تفلت منه ذمام الأمور.

وأخيرا ندعو إلى العناية الكاملة بهذه الإلياذة بخاصّة لدى النّشء: تدريسا وشرحا وحفظا ووعيا.

---

[1] ينظر، مفدي زكرياء، 2004، ص 15.

[2] ينظر،،مفدي زكرياء، 2001، ص 12.

[3] ينظر، مفدي زكرياء، 2004، ص 15.

[4] ينظر، بوزيد ساسي هادف، 2012، 161.

[5] أبو القاسم سعد الله، 1981، ،ص 52.

[6] مفدي زكرياء، 2004، سابق، ،ص 35.

[7] مفدي زكرياء، 2004، سابق، ،ص 35.

[8] ينظر، حبيب مونسي، 2009، 176.

[9] ينظر،عبد الله حمادي، 1994، 202.

[10] ينظر، أحمد حسن الزيات، 176.

[11] رواه البوخاري ومسلم..

[12] مولود قاسم هو، مولود بن محمّد وسعيد نايت بلام، 1927–1992م رائد اللغة الربية بالجزائر، مشرف فعّال على ملتقيات الفكر الإسلامي..

[13] عثمان الكعاك، 1903–1976، من رواد الفكر والأدب والثقافة بتونس، ورائد التّواصل الفكري بين تونس والجزائر.

[14] عبد المجيد غالب، من الخطّاطين الجزائريين.

[15] ينظر، مفدي، الإلياذة، 2004، سابق، ص 39 – 159.

[16] محمّد بن سمينة، 2003، ص 27.في الأدب الجزائري الحديث، النهضة الأدبية الحديثة في الجزائري (مؤثراتها، بدايتها، مراحلها).

[17] ينظر، الإلياذة، 2004، ص 37.

[18] ينظر، نفسه، ص 51.

[19] ينظر، نفسه، ص 51.

[20] ينظر، نفسه، ص 51.

[21] ينظر، نفسه، ص 42.

[22] ينظر، نفسه، ص 64.

[23] ينظر، نفسه، ص 64.

[24] ينظر، نفسه، ص 70.

[25] ينظر، نفسه، ص 88.

[26] ينظر، نفسه، ص 89.

[27] ينظر، نفسه، ص 102.

[28] ينظر،بوزيد ساسي هادف، سابق، ص 37.

[29] ينظر، نفسه، ص 102.

[30] ينظر، نفسه، ص 131.

[31] نفسه، ص 19–20.

[32] ينظر، محمّد السعيد بن سعد، 2017، ص09 .

[33] ينظر،عزام أمين،1995، ص 03–04.

[34] ينظر، مولود عويمر، 2005، ص 08.

[35] ينظر،مفدي زكرياء، الإلياذة، 2004، سابق، ص 19 و20 و29 إلى 35.

[36] **نف**سه، ص 21–.

[37] نفسه، ص 29.

[38] نفسه، ص 29–30.

[39] نفسه، ص 30.

[40] نفسه، ص 30.

[41] نفسه، ص 31.

[42] نفسه، ص 31.

[43] نفسه، ص 19.

[44] نفسه، ص 35.

[45] نفسه، ص 21–22.

[46] نفسه، ص 31.

[47] نفسه، ص 31.

[48] نفسه، ص 40.

نفسه، ص 31.[49]
نفسه، ص 31.[50]
نفسه، ص 31-35.[51]
نفسه، ص 34.[52]
نفسه، ص 34.[53]
نفسه، ص 34.[54]
نفسه، ص 34.[55]
نفسه، ص 35.[56]
ينظر، نسيمة زوماني، 2012، ص 07(مقدمة).[57]
صالح خرفي، 1984، ص 252.[58]

مصادر البحث ومراجعه:

01- مفدي زكرياء شاعر الثورة، إلياذة الجزائر، مؤسسة مفدي زكرياء الثّقافية، المحمّدية، الجزائر، 2004.

02- مفدي زكرياء، إلياذة الجزائر(تقديم مولود قاسم نايت بلقاسم، دار موفم للنّشر والتّوزيع، الجزائر، 2001.

03- بوزيد ساسي هادف، المعجم الشعري في إلياذة الجزائر(مقال)، مجلة الباحث، جامعة عمّار ثليجي ، العدد 10، أوت 2012، مطبعة بن سالم، الأغواط، الجزائر.

04- محمد بن سمينة ،في الأدب الجزائري الحديث، النهضة الأدبية الحديثة في الجزائري (مؤثراتها، بدايتها، مراحلها)، مطبعة الكاهنة الجزائر، 2003.

05- أبو القاسم سعدالله، أبحاث وآراء في تاريخ الجزائر(القسم الأول)، ط 02، 1401هـ/1981م، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر.

06- حبيب مونسي، توترات الإبداع الشّعري، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 2009.

07- محمّد السّعيد بن سعد، مكنونات هقار وتديكلت الثقافية(الجزء الأوّل)، ط 01، 2017، دار الرّاية للنّشر والتّوزيع، عمان، الأردن.

08- عزّام أمين(أمين الملتقى (، كلمة الملتقى(مقدمة)، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية، وحدة الرّغاية، الجزء الأول، الجزائر، 1995.

09- مولود عويمر، ذكرياتي عن مولود قاسم، جريدة البصائر(لسان حال جمعية العلماء المسلمين الجزائريين، العدد 235، 2005.

10- عبد الله حمادي، مساءلات في الفكر والأدب(محاضرات)، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1994.

11-أحمد حسن الزيّات، الفرديّة علتنا الأصليّة، مجلة الرّسالة العدد 91، مصر، 1968.